لفظ ﴿المجرمون﴾ في القرآن الكريم دراسة استقرائية موضوعية

د. سلور اشريتش — أستاذ مشارك تخصص التفسير وعلوم القرآن الإسلامية والقراءات ورئيس قسم الدراسات الإسلامية جامعة الوصل

أ. لالة شيخنا مولاي — ليسانس الدراسات جامعة الوصل

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الأنعام: ٥٥]

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

البحث الموسوم: "لفظ (المجرمون) في القرن الكريم دراسة استقرائية موضوعية" يهدف إلى كشف المقصود من هذا اللفظ في استعمال القرآن الكريم له وبين المقصود منه في القانون. وبعد المقدمة وعدتها، عرفنا الإجرام لغة واصطلاحا في القرآن الكريم والقانون لتوضيح الفرق في إطلاقه، ثم استخرجنا الآيات التي ترد فيها مشتقات (أجرم) وهي ٤٩ موضعا، ثم قمنا باستقراء الموضوع في كتب التفسير... وتبين لنا خطورة هذه الصفة، وأنها تعني باختصار شديد من بُشر بالنار وهو ما زال على قيد الحياة. واكتشفنا أن هذا اللفظ لا يقترن به أي عبارة تدل على العفو والرحمة والتوبة... وكان ذلك في المبحث الأول.

وفي المبحث الثاني قدمنا العلاجات التي تحول بين المرء والوقوع في الإجرام، لأن الذي أطلق عليه صفة المجرم لا أمل منه يرجى. نسأل الله العفو والعافية وصون اللسان من إلقاء هذه الصفة على أحد ممن نحبهم من الأولاد والإخوة والأصصدقاء بأية نية كانت سخية أو مزاحا أو غفلة...

واختتمنا بالنتائج والتوصيات والفهارس.

والحمد لله دائما...

المقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا دينا قويماً، وهدانا طريقا مستقيماً، والصلاة والسلام على سيدنا وقدوتنا محمد المرسل رحمة للعالمين، وأمينا على وحي ربه، مبينا لكتابه وشرعه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فالله سبحانه عظّم القرآن الكريم، ورفع منزلته كما هو أهله، وجعله في أعزّ مكانة موصوفا بأحسن النعوت وأجل الصفات، وقال سبحانه في شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] فهو عظة، وشفاء لعمى القلوب، وهدى من الضلالة، يهدي به الله من عبيده من أراد، ورحمة يرحم بها من شاء من خلقه. وقال عنه كذلك: ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] فآياته محكمة مفصّلة، تبين ما يحتاجونه في دينهم ودنياهم، ومن ذلك توضيح سبل الهداية ووطريق الضلال.

ولأنه جعل القرآن الكريم فرقانا فصلت آياته فنعلم منها سبل المهتدين ونسلكها، ونستبين طرق الضالّين فنحذرها، وهما طريقان لفئتين جعل الله سبحانه من سنته في الخلق أن يكون بينهما صراع لا ينقضي، وتكون في كل طرفي الصراع فئة متميزة فمن المهتدين من بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وفي مقابلهم فئة مجرمة ضالة –موضوع دراستنا. ومن منطلق هادف لاستبانة طريق هذه الفئة الضالة الخطيرة تقرر أن يكون البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم بجمع الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع من أجل معرفة ما تحمله تلكم الآيات من أسرار ومعان لطيفة.

وعليه وجب القيام بتتبع الآيات التي بها مادة (جَرَمَ) وجمعها لاستبانة طريق المجرمين. فما المراد بالمجرمين في النص القرآني؟ وهل مراد القرآن الكريم بالمجرمين يتوافق مع مراد القانون الوضعي وما تعارفه الناس؟ ما حقيقة المجرمين وسبيلهم الذي ذكره القرآن الكريم؟ هل في القرآن الكريم أساليب من شأنها حماية الأفراد من الانجراف نحو سبيل المجرمين؟ وما الأعمال التي حسب نص القرآن الكريم تجعل الإنسان مجرما؟ وفيما يتعلق

بوسائل الإعلام التي توغلت في حياة الناس نتسائل عن دورها في تصدي / نشر الإجرام؟ الإجابات على التساؤلات السابقة هي محتوى هذا البحث المعنون بـ **(المجرمين في القرآن الكريم** دراسة استقرائية موضوعية**)**.

أسباب اختيار موضوع البحث:

- ✓ عنوان لم يسبق أن درس دراسة مستقلة وسجل كبحث لرسالة علمية إلا مرة واحدة حسب ما توصلنا إليه، وتلك الرسالة تختلف عن هذه من حيث أنها درست عملا واحدا من أعمال المجرمين وهو التصدي لدعوة المرسلين، ووجه الاتفاق بين البحثين هو أن كليهما دراسة حول المجرمين في القرآن الكريم.
- ✓ ورود لفظ المجرمين في مواضع الوعيد الشديد مع اقتران هذا اللفظ بصفات خطيرة، ومتصلا بقوم صارت العقوبة وشيكة الوقوع عليهم.

أهداف البحث:

- ✓ تكمن أهمية هذا البحث في محاولة توضيح مراد الشارع سبحانه وتعالى من استعمال لفظ المجرمين ومفهومه في سياق القرآني.
- ✓ وكذلك طرقهم وأساليبهم التي سلكوها حتى حقت عليهم هذه الصفة الشنيعة.
- ✓ وضع القارئ على بينة واضحة لسبيل هذه الفئة من الناس وشرورهم لكي يتفاداها.
- ✓ إبراز الفرق بين لفظ المجرمون في استعمال القرآن الكريم له وبين المقصود منه في القانون.
- ✓ توضيح خطورة تداول هذه اللفظة في الحياة اليومية.

مشكلة البحث:

- ✓ نستخدم كلمة المجرم في حياتنا اليومية ونسمع عنها في الأخبار والمحاكم، ونقرؤها في كتاب الله تعالى، وإشكالية البحث تخرج من هنا باحثين عن الجواب: هل ما يتداوله الناس وتعارفوه يتوافق مع مراد القرآن الكريم؟

- ✓ الإسهام في إزالة التصور الشائع في أذهان الناس بأن الإجرام يقتصر على ارتكاب الجريمة الجنائية كالقتل وأمثاله ولا يخطر على بالهم بأنها صفة من بُشر بالنار وهو ما زال على قيد الحياة.

الصعوبات التي واجهتنا في إعداد البحث:

- ✓ دراسة الآيات القرآنية التي تتناول هذا اللفظ واستنباط خصوصية القرآن الكريم في استعماله والجزم بشيء ربما لم يسبقنا إليه أحد.

الدراسات السابقة:

- ✓ أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين وعاقبة ذلك في ضوء القرآن الكريم، إعداد: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله السند، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

منهج البحث:

- ✓ المنهج الاستقرائي التحليلي.

❖ **خطة البحث:** البحث به مقدمة ومعداتها، ثم مبحثان، ويضم كل منهما عدة مطالب، وعقبنا ذلك بخاتمة وفهارس.

١. **المقدمة:** وفيها سبب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، وإشكالية البحث، والدراسات السابقة، والمنهج . المُتبع لإعداده.

٢. **المبحث الأول:** تعريف المجرم لغة واصطلاحا، والمقصود منه في القرآن الكريم، وتعريفه في القانون الوضعي، وبيان أعمال أصحاب من وُصفوا به.

- **المطلب الأول:** تعريف المجرم لغة واصطلاحا.
- **المطلب الثاني:** مقارنة بين المراد بالمجرم في القرآن الكريم والقانون الوضعي.
- **المطلب الثالث:** صفات المجرمين وأعمالهم التي أشار إليها القرآن الكريم.

المبحث الثاني: وقاية القرآن الكريم من الوقوع في الإجرام ونشره

- **المطلب الأول:** أساليب القرآن الكريم في الوقاية من الوقوع في الإجرام.
- **المطلب الثاني:**. مصير المجرمين ومآلهم في الدنيا قبل الآخرة عبرة وموعظة.

٤. **خاتمة البحث:** بها أهم النتائج المتوصل إليها مع التوصيات.

٦. **قائمة المصادر والمراجع.**

٥. **الفهارس العامة:** وهم فهرسان؛ الأول:فهرس الأحاديث، والثاني: فهرس الموضوعات.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود: ٨٨]

المبحث الأول:

تعريف المجرم لغة واصطلاحا، والمقصود منه في القرآن الكريم، وتعريفه في القانون الوضعي، وبيان أعمال أصحاب من وصفوا به.

المطلب الأول: تعريف المجرم لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مقارنة بين المراد بالمجرم في القرآن الكريم والقانون الوضعي.

المطلب الثالث: صفات المجرمين وأعمالهم التي أشار إليها القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف المجرم لغة واصطلاحا.

أ- تعريف المجرم لغة:

المجرم: من مادة جَرَمَ والجيم والراء والميم أصل واحد تُرجع إليه الفروع، فالجرم القطع، ويقال لصرام النخل الجرام، وجرمت صوف الشاة وأخذته، ومما يرد إليه قولهم جرم أي كسب؛ لأن الذي يحوزه فكأنه اقتطعه، وفلان جريمة أهله أي كاسبهم، والجرم والجريمة: الذنب وهو من الأول؛ لأنه كسب والكسب اقتطاع[1].

الجرم كذلك: التعدي والذنب، والجمع أجرام وجروم، وهو الجريمة، وقد جرم يجرم جرما، وأجرم واجترم، فهو مجرم وجريم[٢]. والجُرم: التعدي والجارم الجاني، وقرأ الأعمش ﴿ لا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ بضم الياء. قال الزَّبيدي: جرمت وأجرمت بمعنى واحد، وقيل معناه لا يدخلنكم في الجرم، من أجرمه، كما يقال: آثمته، أدخلته في الإثم[٣].

جرمه: قطعه، والجرم: الذنب، وأجرم فلان: أذنب، فهو مجرم وجريم، والمجرمون الكافرون، وتجرّم عليه: ادّعى عليه الجرم، وإن لم يجرم، وجريمة القوم كاسبهم، والجرم بالكسر: الجسد، والجريم: عظيم الجسد، وأجرم: عظم، ولا جرم، بالضم أي: لابد أو لا محالة[٤].

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، [كتاب الجيم- باب الجيم والراء وما يثلثهما]، مادة جرم، ١ / ٤٤٦.

[٢] ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م، [باب الميم- فصل الجيم]، مادة جرم، ١٢ / ٩١ .

[٣] ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية،[فصل الجيم مع الميم]، مادة جرم، ٣١ / ٣٩٥.

[٤] ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، [باب الميم- فصل الجيم]، ١ / ١٠٨٧.

ومما سبق نصل إلى ملخص يفيد بأن المجرم لغة هو **المذنب، ومرتكب الإثم** والفعل القبيح، وإن نظرنا إلى المعنى اللغوي من حيث أن الجرم بمعنى القطع، نستنتج أن المجرم من ارتكب فعلا قبيحا **يقطع به صلته بربه سبحانه وتعالى**، أو ارتكب فعلا قبيحا **يقطع به صلته بالمجتمع** من حوله.

ب- المجرم في الإصطلاح: المجرم في اصطلاح القرآن الكريم مختلف عن المراد به في اصطلاح القانون الوضعي، والأخير هو المتعارف عليه بين الناس، والمقارنة بين الاصطلاحين تتطلب مطلبا تستوفي فيه حقها من البحث كما هو آتٍ.

المطلب الثاني: مقارنة بين المراد بالمجرم في القرآن الكريم وبينه في القانون الوضعي:

المجرم في إصطلاح القانون الوضعي:

المجرم اسم فاعل لمن ارتكب الجريمة وهي: "فعل أو امتناع يخالف قاعدة جنائية يقرر لها القانون جزاء جنائيا"[1].

ويُعرَّف كذلك: "من أُقدم على فعل الجريمة وهي سلوك إنساني معاقب عليه بوصفه خرقا أو تهديدا لقيم المجتمع أو لمصالح أفراده الإنسانية، أو لما يعتبره المشرع كذلك وسيلته في ذلك النص القانوني"[2]. وعليه باختصار فإن المجرم: من قام بفعل يعود بالضرر على المجتمع، ويعاقب عليه.

وهذا ليس ببعيد عن تعريف الماوردي -رحمه الله تعالى- للجريمة حيث قال بأنها: "محظور شرعيّ نهى الله عن فعله إما بحدّ أو تعزيز، والمحظور هو عملُ أمرٍ نهى الله عنه أو عدم عمل ما أَمَرَ به"[3].

نستنتج من هذه التعريفات أن الفعل الإجرامي في الإصطلاح الوضعي قد يختلف من مجتمع لآخر، أو بيئة لأخرى، فقد يكون فعل ما محرما أو محظورا عند مجتمع، بينما هو عند غيره يعتبر فعلا مباحا، كشرب الخمر مثلا: نجده في المجتمعات

---

[1] علم الإجرام وعلم العقاب، د. عبود السراج ، جامعة الكويت، ١٩٨١م، ص: ٣٤.

[2] موسوعة جرائم النساء العالمية والعربية، محمد الهاشمي، دار أسامة للنشر، عمان- الأردن، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص: ١٥.

[3] الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، دار الحديث، القاهرة- مصر، ص: ٣٢٢.

الإسـلامية مـن المحرمـات التـي يجـرم صـاحبها بفعلـه ويعاقـب عليـه، بينمـا هـو فـي المجتمعات غير الإسلامية من المباحات التي لا يعاقب عليها القانون.

المعنى الإصطلاحي في السياق القرآني.

لقد تكلم المفسرون في المراد بمعنى المجرمون في القرآن الكريم ضمن تفسيراتهم للقرآن الكريم لسوره وآياته، وقد أجمع كلهم تقريبا على أن المجرم هو الكافر الجاحد؛ المستحق للعذاب الشديد في الآخرة. وعلى سبيل المثال يقول الماوردي . رحمه الله تعالى عند تفسير: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ [المعارج: ١١] "فيه وجهان: أحدهما: يحب، والثاني: يتمنى، والمجرم هو الكافر"[١]. هذهِ الآية دليلُ حسرة من حقّ عليه العذاب، وهو المُجرم بنص القرآن والمراد منه الكافر كما أوّله الماوردي.

وقال الطبري رحمه الله تعالى: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ [المعارج: ١١] يقول تعالى ذكره: يود الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدي من عذاب الله إياه ذلك اليوم ببنيه"[٢].

كذلك أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله سبحانه تأويلا مطابقا لقول الماوردي والطبري فقال في تفسير: "﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾ [طه: ٧٤] والمجرم الكافر، وقيل: الذي يقترف المعاصي ويكتسبها. والأول أشبه لقول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] وهذه صفة الكافر المكذب الجاحد ، فلا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته"[٣]. ويُؤخذ من هذا أن من يأتي الله تعالى من خلقهِ مكتسبا الكفر به، فإن له جهنّم مأوىً ومسكنًا جزاءً له على كفره . قال الواحدي رحمه الله تعالى معلقًا على ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ﴾: " قال المفسرون: المجرم: المشرك الكافر وقال به: ابن جرير،

[١] النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٩٢/٦.

[٢] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ٢٣ / ٦٠٦.

[٣] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ط ٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، 11 / 227.

والثعلبي، والبغوي، والفخر، والقرطبي، وقال ابن عطية: المراد في هذه الآية الكافر؛ بدليل شدة الوعد، وذكر الفخر قولا آخر وهو: "أن الآية تتناول كل مذنب"[1]. وفي تفسير ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠] وقال الزجاج – رحمه الله تعالى: "المجرمون ها هنا الكافرون لأن الذي ذُكِر من قصتهم التكذّيب بآيات الله والاستكبار عنها"[2].

جميع هؤلاء المفسرين متفقين على أن المجرم في إصطلاح القرآن الكريم هو الكافر المستحق لجهنم، وعذابها لا يُفتّر عنه، يدعو فلا يستجاب له، وإن استغاث أغيث بماءٍ كالمهل، وإذا دعا أُجيب بـ ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ [المؤمنون: ١٠٨].

لفظ (لا جرم) جاء في خمس آيات: سورة هود: ٢٢، سورة النحل: ٢٣ و٦٢ و١٠٩، وسورة غافر: ٤٣.

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ) ورد في الأيات الثلاثة: سورة المائدة: ٦ و٨ وسورة هود:٨٩.

ولا شك أن الأصل الثلاثي لا يحمل معنى مقصودا من دراستنا.

ولفظ (أجرموا) ورد ثلاث مرات في السور التالية: سورة الأنعام: ١٢٤، وسورة الروم: ٤٧، وسورة المطففين: ٢٩.

(المجرم) ورد مرة واحدة في سورة المدثر:١١.

(مجرما) ورد أيضا مرة واحدة في سورة طه: ٧٤.

لفظ (مجرمون) وردت في آيتين: سورة الدخان: ٢٢، وسورة المرسلات: ٤٦.

ولفظ (المجرمون) المعرفة ورد ١٣ مرة في ٩ سور على النحو التالي: سورة الانفال: ٨، وسورة يونس:١٧ و٥٠ و٨٢، وسورة الكهف ٥٣، وسورة الشعراء: ٩٩، وسورة القصصك ٧٨، وسورة الروم: ١٢ و٥٥، وسورة السجدة: ١٢، وسورة يس: ٥٩، وسورة الرحمن: ٤١ و٤٣.

---

[1] التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ) تحقيق: لجنة علمية من عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، ط ١، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م، ٢٢ / ٢١٦.

[2] معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١ هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ٢ / ٣٣٨.

ولفظ (مجرمين) ذكرت عشر مرات: سورة الأعراف: ١٣٣، وسورة التوبة: ٦٦، وسورة يونس: ٧٥، وسورة هود: ٥٢ و١١٦، وسورة الحجر: ٥٨، وسورة سبأ: ٣٢، وسورة الدخان: ٣٧، وسورة الجاثية: ٣١، وسورة الذاريات: ٣٢.

وأما لفظ (المجرمين) المعرفة فقد ورد ١٩ مرة وذلك في ١٧ سورة كما يلي: سورة الأنعام: ٥٥ و١٤٧، وسورة الأعراف: ٤٠ و٨٤، وسورة يونس: ١٣، وسورة يوسف: ١١٠، وسورة إبراهيم: ٤٩، وسورة الحجر: ١٢، وسورة الكهف: ٤٩، وسورة مريم: ٨٦، وسورة طه: ١٠٢، وسورة الفرقان: ٣١: وسورة الشعراء: ٢٠٠، وسورة النمل: ٦٩، وسورة السجدة: ٢٢، وسورة الزخرف: ٤٧، سورة الأحقاف: ٢٥، وسورة القمر: ٤٧، وسورة المدثر: ٤١.

إذا ذكر لفظ المجرم ومشتقاته في ٤٩ آية من كتاب الله تعالى.

المطلب الثالث: صفات المجرمين وأعمالهم التي أشار إليها القرآن الكريم

إن من أعمالهم الظاهرة للعيان انحرافهم عن الصراط السوي وانقطاعهم عن الحق، أما الأعمال الأخرى والصفات التي اتصفوا بها نستخرجها من الآيات الوارد ذكرهم فيها على النحو التالي:

- **الإستكبار عن آيات الله تعالى وتكذيبها:** الاستكبار من التكبر أي: العظمة والإعجاب بالنفس وأعظمه الامتناع عن قبول الحق معاندة وبطرا، والاستكبار: طلب الترفع بالباطل، وصفة مستكبر صفة ذم في جميع العباد[١]، وهي من صفات المجرمين لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ**اسْتَكْبَرُوا عَنْها** لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ في سَمِّ الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِي **الْمُجْرِمين** ﴾ [الأعراف: ٤٠] ويشير الله تعالى إلى أن المُكذِّبينَ بآياته، الذين استَكْبَروا عَنْها، وترفعوا عن الإيمان بها، والانقياد لأحكامها، لا يُجابُ لهم دُعاءٌ، ولا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يَدْخُلُ هَؤلاءِ الجَنَّةَ أبَدًا، كَما لا يَدخُلُ البَعيرُ في ثَقْبِ الإبْرةِ. والاستكبار كفر ويتولَّدُ مِن كَثرةِ المالِ

[١] التفسير البسيط، الواحدي، ٩ / ١٢٦.

والجاهِ غالبا، وختم الآية بـ ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِين ﴾ وهو تَذْييلٌ يُؤْذِنُ بأَنَّ الإجرامَ هو الَّذي أوقَعَهم في ذلك الجزَاء[1].

ومِن الاستكبارِ عن عِبادتِه عدمُ دُعائِه؛ لما ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:الدُّعاء هو العبادة، ثمّ قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴾"[2] [غافر: ٦٠] وذلك لأنّ الدّعاء يظهر عبوديّة المخلوق لخالقه، إذ "أن الاستكبار عن عبادة الله تعالى كالإقرار بالعبودية لغير الله سواء بسواء"[3]. من سوء عملهم استكبارهم عن عبادة الله تعالى، وهو فعل كفيل باستحقاق العذاب، ومنذ امتناع أول المستكبرين إبليس عن السجود لآدم عليه السلام أضحى الاستكبار عن عبادة الله وطاعته سنة متّبعة لدى أهل الإجرام، وصفة مشتركة بينهم على مر الزمان.

- **الكذب على الله بعبادة غيره والاستشفاع بما عُبد:** شاهده قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ **الْمُجْرِمُونَ** ﴿17﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٧– ١٨] في الآية الأولى بيان لأنه لا أحد أشدّ كذبا ممَّن تقوّل على الله سبحانه، كمن يزعم أنّ الله أوحى إليه أو كذَّب بآيات كتابه فلم يصدّقها، و"الظُّلم هنا: الاعتداء، وإنّما كان أشدّ الظُّلم؛ لأنه اعتداءٌ على الخالقِ بالكذب عليه وتكذيب آياتِه"[4]. وختم الآية بـ ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ وهو "تذييلٌ وموقعُه يَقتَضي شُمولَ عُمومِه للمَذكورين في الكَلامِ المذيَّلِ، فيَقْتَضي أنَّ أولئِك مُجرِمون، وأنَّهم لا يُفلِحون"[5]. وفي الآية الثانية قال: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ

---

[1] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م، ٨ / ١٢٨.

[2] أخرجه الترمذي في جامعه، الجامع الكبير- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار بن عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ومن سورة المؤمن، برقم ٣٢٤٧، ٥ / ٢٢٧. قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح.

[3] ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، رسالة دكتوراه بإشراف: أ. محمد قطب، ١٤٠٥هـ، دار الكلمة، ط ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص: ١٠١.

[4] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١/ ١٢٤.

[5] المرجع السابق، ١١ / ١٢٤.

وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾، و﴿ يَعْبُدُونَ ﴾ أي: المشركون المكذبون[1]، يعبدون الأوثان، وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هو غاية الجهالة، حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال. ويدخل في عموم هذا كل من سأل الأموات وأصحاب القبور والصالحين واستغاث واستعان بهم لأنه شرك والأصل أن العبد يستعن بالله لقول النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[2].

الاستهزاء بالله تعالى ورسله: شاهده قول الله تعالي: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا **مُجْرِمِينَ** ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦] دلَّت الآيةُ على أنَّ الاستهزاءَ بما يتعلق بالدِّينِ كيف كان كُفرٌ وجرم؛ وذلك لأنَّ الاستهزاءَ يدُلُّ على الاستخفافِ، وأساس الإيمانِ تَعظيمُ اللهِ تعالى بأقصى الإمكان، والجمع بينهما مُحال[3]. والهازل والجادّ سواءٌ في إظهارِ كَلِمةِ الكفر. وتضمت الآية "استفهاما إنكاريٌّ توبيخيٌّ، وهو تَقريرٌ على استهزائهم، وضَمَّنَه الوعيد، ولم يعبأْ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه"[4] وقال: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي إن نعفُ عن جماعة منكم لتوبتهم الصّادقة، نعذّب جماعة أخرى بسبب أنّهم كانوا مُقيمين على إجرامهم ومصرين عليه، وهو الاستهزاءَ باللهِ وآياتِه ورسله، والاستهزاءَ بهذه الأمورِ مُتلازمٌ. ومن هذا نأخذ أن من استهزأ بشيء من دين الله سواءً استهزأ برسله أو تنقصهم، أو استهزأ بالكتاب، أو بالسنة الثابتة، ويدخل في عموم ذلك الاستهزاء بأولياء الله تعالى ومعاداتهم، ومن فعل من هذا شيئا فقد أجرم.

- **معاداة النبيين ودعاة الحق:** شاهده قول الله تعالى: ﴿ وَكَذلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ **الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الفرقان: ٣١]. يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم وهذه العداوةُ تكونُ لأتباع

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت:١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص: ٣٦٠.

[2] الجامع الكبير- سنن الترمذي، الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع- باب ٥٩، ٢٤٧/٤. قال الترمذي: حسن صحيح.

[3] يُنظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ١٦ / ٩٥.

[4] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠ / ٢٥١.

الأنبياء أيضا لأنّ المجرمين عادوا الأنبياء لدُعائِهم لمراد الله تعالى، فمعاداتهم لم تكن لذوات الأنبياء وما دامت العداوة من أجل دعوة الناس لمراد الله تعالى، فسوف يلحق بكل مَن دعا إلى الحق أذًا وعداوةً من المجرمين كما كان للأنبياء أعداء، "وصف أعداء الأنبياء بأنهم من المجرمين، أي: من جملة المجرِمين لأن الإجرامَ أعَمُّ من عداوة الأنبياء، وهو أعظمها. وإنَّما أُريد هنا تحقيق انضواء أعداء الأنبياء في زمرة المجرِمين"[1]. ولله الحكمة البالغة في أن جعل لدعاة الحق فئة مجرمة تتصف بعدائهم، إذ أنّ الحقَّ يتبيّن بضدّه واللهَ سبحانه أوجد عدوا من المجرمين يتصدى لدعوة الحق، لأن ذلك يُبين الدعوة ويقويها فإذا لم تكن لها من يتصدى لها ما تبيَّت واتضحت، لكن عند وجود من يتصدى ويأتي بشبهة فيردّ عليها، صار ذلك أوضَحَ، فمحاربة المجرمين للحقّ تزيده قوة وينتج عنها إظهار ما يفعل الله لدعاة الحق من الكرامات وبأهلِ الباطلِ من الخزي والهلاك.

- **التكذيب بالنار والعذاب:** لقول الله تعالى: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا **الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [الرحمن: ٤٣]. والتكذيب بالنار تكذيب لكلام الله ولرسوله ولإجماع الأمة، إذ أن الإيمان بالنار واجبٌ، ومنكره مجرم. وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "إن ملكه الحق يستلزم أمره ونهيه، وثوابه وعقابه، وكذلك يستلزم إرسال رسله، وإنزال كتبه، وبعث المعاد ليوم يجزى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فمن أنكر ذلك فقد أنكر حقيقة ملكه، ولم يثبت له الملك الحق، ولذلك كان منكراً لذلك كافراً بربه[2]. ومن سوء فعال المجرمين أنهم أساؤوا الأدب مع
الله، فظنوا أنه لن يجمع العباد للجزاء والعقاب، ويبيّن لهم ما اختلفوا فيه، ويظهر لهم صدق رسله وقدرته سبحانه.

- **الضحك من الذين آمنوا والتغامز بهم ووصفهم بالضلال:** الشاهد عليه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ **أَجْرَمُوا** كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٢﴾ [المطففين: ٢٩- ٣٢]. في الآيات وصف لما عليه المجرمين في الدنيا من ازدراء بالمؤمنين، ويضحكون على وجه السخرية، ويتغامزون بهم احتقارا لهم، "وإذا انصرف (المجرمون) إلى أهلهم وأصحابهم وذويهم انقلبوا فكهين أي معجبين بأنفسهم،

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩ / ١٨.
[2] التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ص: ١٦٢.

وقيل: معجبون بما هم عليه من الكفر، متفكهون بذكر المؤمنين"[1]. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون عن محجة الحقّ، وسبيل القصد. وهذه الأفعال حاصلة من المجرمين وتدل على الركون إلى الدنيا والإقبال عليها والاطمئنان فيها.

- **الضلال والتضليل**: شاهده قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا **الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [الشعراء: ٩٩] والمجرمون هنا المراد بهم أئمة الإجرام ودعاته، العاملين على تزيين الباطل وغمط الحق، عن طريق صد الهدى والرشد والدعوة إلى الغي والفسق، ومن أفعالهم السيئة أنهم ما اكتفوا بضلالهم بل عملوا على تضليل من لهم قدرة عليه. قال الطبري رحمه الله تعالى: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ **مُجْرِمِينَ** ﴾ [سبأ: ٣٢] قال الذين استكبروا في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله تعالى للذين استضعفوا فكانوا أتباعًا لهم ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى ﴾ ومنعناكم من اتباع الحق ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ﴾ من عند الله يبين لكم ﴿ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾ فمنعكم إيثاركم الكفر بالله تعالى على الإيمان من اتباع الهدى"[2].
- **المكر**: الشاهد عليه قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ **أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا** فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٣] والمراد بهم هنا كذلك أئمة الإجرام وسادته المسموعة كلماتهم، أصحاب الباع الطويل في التضليل والمكر إذ جعلوا من المكر والخديعة والتلبيس منهجا يسار عليه لنشر الإجرام، قال السعدي رحمه الله تعالى: "أكابر مجرميها هم الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم"[3]. وغاية مكرهم هي الصد عن الصراط السوي. وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: "المراد بالمكر هاهنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف المقال والفعال، ليزينوا لهم هذا الباطل الذي هم عليه، وكانوا يزخرفون لهم أفانين القول"[4] بما تُكنه صدورهم من المكر، وإنما خص الله سبحانه وتعالى الأكابر بالذكر؛ لأنهم أقدر من غيرهم على الفساد والصد عن الإستقامة وصرف العباد عنها، وقد سبق ذكر

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٩ / ٢٦٧.
[2] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٠ / ٤٠٧.
[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: ٢٧١.
[4] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٣ / ٣٣١.

الحكمة من التصدي للحق ومحاربة دعاته إذ قلنا بأن محاربة الدعوة تقويها وتلبسها لباس الجد المتناسب مع حقيقتها.

- **ترك الصلاة، عدم إطعام المسكين، الخوض مع الخائضين، والتكذيب بيوم الدين:** هذه جملة من الأعمال التي أتوها، وقد عرفوا بها عن أنفسهم عندما سُئلوا عن سبب إقحامهم في النار، والشاهد قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ [المدثر: ٣٨-٤٧] وهنا يبين الله تعالى أن الكل مرتهن إلا أصحاب اليمين فإنهم لم يرتهنوا، يقول السعدي رحمه الله تعالى: "بل أطلقوا وفرحوا في جنات تمت لهم فيها الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟ فقال بعضهم لبعض: هل أنتم مطلعون عليهم" فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون، وسألوهم بأي ذنب استحققتموها؟ فـ ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين. وكنا نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ والتكذيب بيوم الدين الذي هو محل الجزاء والعقاب من آثار الخوض بالباطل[1] الذي أنتج لهم جرما استحقوا به ما هم فيه من عذاب.

إن المراد بالمجرمين في القرآن الكريم مغاير لما يراد بهم في اصطلاح القانون الوضعي إذ إن المجرمين في اصطلاح القرآن هم الذين قد تمردوا على قوانين الله تعالى ورفضوا أن يسلكوا طرق الهدى فاتبعوا أهواءهم الخاطئة. وبعد تتبع وصف الإجرام في القرآن الكريم، نجده مختصا بمجرمي العقائد، المكذبين بالبعث والنشور، المعارضين لأمر الله تعالى، المعرضين عن ذكره، المتعدين على حدوده سبحانه، مبدلي شرائعه، محاربي قيم دينه، مُعادي رسله وأنبياءه ومكذبيهم، المتصدين لما جاء من عنده سبحانه وتعالى من الحق، المتنكبين عن ما يوصل له، المتمردين على شرعه المحادّين له، المستهزئين بعباده الصالحين الداعين لشرعه. ومن مقاصد الذكر الحكيم إيضاح سبيلهم والكشف عن طرقهم في الضلال والإضلال ومن أقبل على القرآن الكريم بقلب متمعن وذهن

[1] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: ٨٩٧.

حاضر تبين له سبيل المجرمين فتجنبه، وعرف هذه الفئة الضالة حق المعرفة فأخذ حذره منها. ولأجل ذلك أكثر القرآن الكريم من ذكرهم فجاء فيه ما يعود لمادة جَرَمَ ٦٧ مرة.

طريق المجرمين غير ملتبس ولا خفي، إنما اتّضح من قرآن الكريم مُعجزٍ تُلي به آيات مفصلات.

واتفق المفسرون ومنهم: ابن جرير، والثعلبي، والبغوي، والفخر، والقرطبي، والطبري وابن عطية على أن المجرم في إصطلاح القرآن الكريم ومراده هو؛ الكافر. وقال الشوكاني رحمه الله تعالى المجرم: المشرك، المستحق لجهنم وهو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح.

المجرمون ينقسمون إلى فئتين؛ الأولى هي فئة سادة الإجرام وقادته الذين يحولون بين الحق وبين المستضعفين الذين لهم سلطة عليهم واستطاعوا أن يُمنُّوهُم ويمكروا بهم بزخرف القول، والثانية هي الفئة التابعة لقادة الإجرام الذين دعوهم فاستجابوا لهم، ويوم القيامة مجموعون في العذاب ولا تغني فئة عن فئة شيئا.

ولعلنا بعد هذا العرض نستطيع تلخيص مصطلح المجرم في القرآن الكريم بأنه يصف فئة من المكلفين الذين بلغ بهم الأمر في الكفر والضلال نقطة لا عودة بعدها، أو بعبارة أوضح وأكثر إيجازا أن المجرم من بُشر بالنار وهو ما زال على قيد الحياة. والمجرم شر الناس قاطبة. ولم يرد مفردا معرفا إلا في سورة المدثر وهو موضع الحساب ومواجهة النار فيتمنى أن يخلص نفسه منها بأقرب الناس إليه وهو ولده، ثم الأبعد فالأبعد، مرة نكرة في سورة طه في سياق الخبر عمن يأتي بهذه الصفة ومقره جهنم. وبقية المواضع ذكروا في القرآن الكريم بصيغة الجمع دلالة على كثرتهم واتفاقهم على منهجهم.

وعند تمعن النظر في الآيات ذكر فيها لفظ (المجرمون) يُلاحَظ عدم ذكر الرحمة أو العفو أو المغفرة أو التوبة، فهذا الأمر يؤيد ما نميل إليه بمقصود هذه الكلمة في القرآن الكريم بأنها صفة أهل النار لا محالة ولو كانوا يأكلون ويشربون فقد قال الله فيهم ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦)﴾ [سورة الملك: ١٠] **وتتابعهم على مر العصور والمجتمعات سنة ربانية– نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة.**

...

المبحث الثاني:

وقاية القرآن الكريم من الوقوع في الإجرام وبيان مآل المجرمين.

المطلب الأول: أساليب القرآن الكريم في الوقاية من الوقوع في الإجرام.

المطلب الثاني: مصير المجرمين ومآلهم في الدنيا قبل الآخرة عبرة وموعظة.

المطلب الأول: أساليب القرآن الكريم في الوقاية من الوقوع في الإجرام

الناظر في القرآن الكريم بعين فاحصة، يدرك دون كبير عناء، أنه كتاب بكل ما يحويه من آيات، داع للمنهج القويم، مفضٍ للطريق السوي، مبعد عن الإجرام وعمّا يجرّ إليه، بأساليب دعوية وتربوية مختلفة. تارة نقف على أساليب وقائية تقي العبد من المحظور وتعينه على ملازمة الاستقامة والصلاح، فيكون بهذا قد وُقي من سلك سبيل المجرمين. وتارة نجد أساليب تعين العبد على ترك الجرم الذي اقترفه، وتدعوه للصواب بحكمةٍ تخرجه من ظلمةٍ هو فيها، فنلاحظ أن القرآن الكريم يخاطب كلا بالأسلوب الذي يناسبه، وبالحجة التي تلائمه. وأساليبه الجمة من شأنها أن تصلح المخطئ وتثبت المستقيم.

وعليه فقد جمعت من القرآن الكريم الأساليب التي من شأنها أن تقي من الإجرام وما يقع تحته من أعمال تؤدي إليه، حتى وإن لم يُذكر في الآية التي أُخذ منها الأسلوب التربوي لفظ يعود لمادة (أجرم)، ولكن عند النظر لشمولية الإجرام ندرك أن الأسلوب له علاقة بالإجرام وإن لم يذكر صراحة. ومن هذا المنطلق جمعنا الأساليب الدعوية والتربوية على النحو التالي:

أ. **العمل على تثبيت العقيدة:** ولعل من أعظم مقاصد القرآن الكريم وغاياته تثبيت العقيدة الصحيحة لأن صلاحها يتوقف عليه صلاح الفرد والأمة، والمنحرف عنها يصير فريسة

للأوهام والشكوك. ولتثبيتها والحفاظ على سلامتها استخدم القرآن الكريم مناهج مختلفة تتماشى مع ماينا سب الناس باختلافهم، مثل إثارة العقل بالحديث عن المخلوقات وغيرها، ومنه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤]، قال الطبري رحمه الله: "فأنزل الله هذه الآية، لتكون آيةً بينةً على وحدانيته، وأنه لا شريك له في ملكه، لمن عَقل وتدبَّر ذلك بفهم صحيح"[١]. وذكر سبحانه فيها دلائل واضحة من أصناف ما خلق، والأصناف هذه بها أسرار يختلف الناس في إدراكها، فتثار عقولهم ويشتغل كل واحد منهم بالتفكر في تلك المخلوقات بقدر قدرته العقلية. فيعلم عظم الخالق، ويزدد تعلقه به، حبا له وخشية منه، وبين الحالين يعصم من وساوس الشيطان فتثبت عقيدته، ويأمن من خطر الوقوع في الإجرام.

وأثار القرآن الكريم من أجل تثبيت العقيدة العقول، وبعد إثارتها دعا لاستخدامها بالشكل الصحيح وتوجيهها لما فيه فائدة حقيقية، وأكثر من ذكر العقل من أجل إرشاد الأنفس الحائرة، من جهة تثبيت النفوس المؤمنة، وبيّن من جهة أخرى أن العقول التي قد لا تقود مُلّاكها لطريق الهدى، وتنجّيهم من العذاب، هي عقول مُعطّلة لا تُرجى منها فائدة، ونقل عن أهل النار قولهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك: ١٠] ومعنى كلامهم لو كانت لهم عقول ينتفعون بها أو يسمعون ما أنزله الله من الحق، لما كانوا على ما هم عليه من الكفر[٢]. فيؤخذ من كلامهم أن الناجي من له سمع يَعِي به، وعقل سليم يفضي لرضا الله تعالى، واجتناب ما قاد للإجرام والضلال.

ب. التذكير بمراقبة الله تعالى للعبد واطلاعه عليه: وممّا يقي العبد من الوقوع في الإجرام كذلك الآيات الكثيرة التي تتناول موضوع الإطلاع على العبد، الذي يجعله يستشعر مراقبة الله تعالى له، فيشعر بالخوف والحياء. وهذان الشعوران بمثابة الحاجز القوي الواقع بين الإنسان

[١] يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٣ / ٥.
[٢] يُنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨ / ١٧٨.

وبين ما حرم الله تعالى، مثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [سورة الأعلى: ٧] فهذه الآية عندما يقف عليها قارِئُها، يدرك أنّ الله يعلم الجهر من القول والعمل، ومطّلع على ما يُخفى ويُكتم، أي علمه أحاط بالسّر والعلانية[1]. وعندما يتيقن العبد من هذا فإنه يتمسك بالاستقامة ويلزم الطريق السوي، ويحقق بذلك معنى الإحسان وهو أن يعبد الله سبحانه كأنه يراه.

والمراقبة تتحقق بأمور ثلاث؛ **أولها:** يقين العبد من اطلاع الله تعالى على ما في الصدور، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ [سورة ق: ١٦]، **ثانيها:** أنّه يسمع ما يقال من الكلام ويحصيه لقوله سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق: ١٨]، **وثالثها:** أنه سبحانه يرى ما عليه العبد من حال ويعلم ما يصدر عنه من فعل لقوله: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ [سورة الشعراء: ٢١٨– ٢١٩]، هذه الأمور الثلاث إذا تيقّن العبد منها واستحضرها، أورثته الإخلاص فأتقن عمله الصالح، وسما بنفسه نحو كل خير، وعلا بها عن سفاسف الأمور التي من شأنها أن تهوي به لما لا تحمد عقباه، مثل الشك بعد اليقين والضلال بعد الهدى. وأُكثِر من العناية بالتذكير بمراقبة الله تعالى للعباد لأن استشعارها ينعكس على استقام سلوكهم، لأنهم معها يستحضرون عظمة المعبود المطّلع عليهم.

ج. **الحث على الذكر**: اعتنى القرآن الكريم بالقلوب وهي أوعية الهداية أو السبب في الغواية ومحل الإجرام، واهتم براحتها، وسبب طمأنينتها وحفظها من وساوس الشيطان هو ذكر الله تعالى، فاهتم بالحث عليه لأنه يورث في نفس العبد التلذذ بالأعمال الصالحة، فيحب ما أحبه الله ويكره ما كرهه، ومدح سبحانه ذاكريه ووعدهم بحسن العقبى فقال: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥]، ومن المواضع الكثيرة التي حث عليه فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب:٤١] ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [سورة النساء: ١٠٣] ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾

[1] يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٤ / ٣١٦.

[سورة الأعراف: ٢٠٥] والآيات السابقات بهن حثٌّ على إكثار الذكر وأمرٌ به، والأمر يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله"[١].

والذكر أمر إلهي واسع الشمول ويتأتّى بمواقف عدة منها: قراءة القرآن الكريم، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، التكبير، التهليل، الحوقلة، التسبيح، التحميد، الاستغفار، الدعاء، حضور مجالس العلم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل فعل يؤدي لمعرفة الله تعالى والتقرب منه ذكر له، وكثرت الذكر مدعاة لاستحضار الله في القلب، ومد جسور الصلة به دائما، وذلك من شأنه زيادة التعلق به وحفظ العقل من الخوض فيما لا ينبغي التفكر فيه مما قد يفتح بابا للشيطان على العبد.

ثم إن ذكر الله حصن للعبد والغافل عنه معرّض لشيطانٍ يغويه، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [سورة الزخرف: ٣٦] ويلازمه الشيطان جزاءً له على غفلته، "فيمنعه من الحلال، ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية"[٢].

والشيطان كل ما يدعو إليه من ترك الحلال والأمر بالمعصية هو سبيل إلى الإجرام الذي يقع فيه العبد نتيجة للإعراض عن ذكر الله تعالى.

د. **أسلوب الترغيب في الخير والترهيب من الشر**: وقد وازن القرآن الكريم بين الاثنين، فاستخدم الترغيب في الثواب والرحمة، وهو الأسلوب الموجب للرجاء والعمل الصالح، واستخدم الترهيب من العقوبة التي يستحقها مَن أثم، وهو الأسلوب الموجب للتوبة من الذنب والمعصية. وكثيرا ما تجد الترغيب والترهيب في سياق واحد مثل قول الله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٧]،

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٩ /١٢٤.
[٢] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٦ / ٨٩.

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠ ﴾ [سورة الحجر: ٤٩-٥٠]. ومن دقة النظم القرآني وجماله، أن الله تعالى في الترغيب وصف نفسه، وفي الترهيب وصف عذابه. والجمع بين الترغيب والترهيب في سياق واحد يعطي العبد فرصة للتفكر في الجانبين معا، حتى يُعدّل سلوكه على ضوء معرفته بالنتائج النافعة والضارة التي تترتب على عمله. وقد يحتاج إلى الاقتصار على واحد من الاثنين حسب المقام، ويقتضيه الظرف، وطبيعة المناسبة. وقد أفرد الترغيب دون الترهيب في مواضع عدة، مثل الترغيب في التوبة والإستغفار وغيرهما، وفي الإستغفار قول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [سورة نوح: ٩-١٢]، وفي إفراد الترغيب في التوبة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر: ٥٣]، وقد "عنى تعالى بها جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف"[1]. حتى وهم مسرفون في المعاصي نودوا بألطف وصف، وهو يا عبادي من أجل التحبيب والترغيب في التوبة من المعصية التي هم عليها وتخليصهم منها.

ومن أمثلة إفراد الترهيب دون الترغيب قول الله تعالى وفي الآيات وصف مآل المجرمين والتخويف منه: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٧٤- ٧٥]، ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [سورة الرحمن: ٤١]. ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة القصص: ٧٨] والترغيب من شأنه التحفيز للعمل من أجل الثواب، والترهيب يسفّه الجرم المرتكب ويبين عاقبته الوخيمة وما يترتب عليه من خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة، وينتج عنه الردع عن الجُرم فيُترك.

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٠ / ٢٢٩.

هـ .**أسلوب المناقشة بالحجج والبراهين**: ممّا تقوم عليه الدعوة لترك الإجرام واجتناب سبيله توجيه الخطاب للعقل، وعليه وجدت الحجج والبراهين في القرآن الكريم لأنه يخاطب عقل الإنسان بالمنطق والاستدلال من خلال أسلوب المناقشة، ويهدف إلى رد الشبهات، وتصويب الأفعال الخاطئة بمناقشة أصحابها، دون الأخذ بأسلوب الجدل العقيم، أو عرض حجج وبراهين يصعب إدراكها، ومن الآيات التي استخدم فيها أسلوب المناقشة بالحجج المقنعة لدفع مافي النفوس من الشبهات الفاسدة قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ٨٩ ﴾ [المؤمنون: ٨٤– ٨٩]، والآيات بها تساؤلات وإجاباتها برهان على وحدانية الله وعظمته، وبعد أن بُيّن الحق وأقيمت الحجج إذا جاء من الناس من يعرض عن ندائه تعالى فلا ريب في أنه من المجرمين. و"من الناس من يكون تصديقه قويا معتمدا على الحجج والبراهين، بالغا أعلى درجات اليقين، لا تزعزعه الشبهات، ومنهم من يكون عكس ذلك"[1]. ولأن الحجة من شأنها تقوية الإيمان، ودأب دعاة الحق إلى وقاية الناس من الإجرام فبذلوا الجهد في مناصحتهم ومناقشتهم ولم يتركوا وسيلة إلا تشبثوا بها لإفهامهم واستبانة سبيل المجرمين.

هذه الأساليب التي عُرِضت من شأنها أن تقي العبد وتحول بينه وبين سبيل المجرمين، بدءًا بالعمل على تثبيت العقيدة الصحيحة واستشعار مراقبة الله تعالى مع الإكثار من ذكره، واستعمال الترغيب والترهيبن وصولا لعرض الحجج القوية والبراهين الكثيرة وبيان عاقبة المجرمين ومآلهم، كلها أساليب تربوية إن تلقّاها صاحب عقل سليم، وفكر متّزن، كانت كفيلة باستقامة سلوكه ووقايته من الإجرام.

[1] زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، إصدار مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص: ٣٠٧.

المطلب الثاني: مصير المجرمين ومآلهم عبرة وموعظة.

بعد معرفة أعمال المجرمين الضالة بما فيها استمالة الناس لسلك سبيلهم لابد من بيان مصيرهم الوخيم الذي استوجبوه بأفعالهم تلك. والله سبحانه وتعالى وجه إلى النظر في عاقبتهم لتكون ردعا لمن بعدهم فقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل: ٦٩]. ومنهم من عجّل الله سبحانه له جزء من العذاب الذي يستحقّه في الدنيا مثل قوم موسى عليه السلام الذين استعلوا عن التصديق بما جاءهم به فقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] وما أصابهم من العذاب في الدنيا ماهو إلا شيء يسير بالنسبة لما سينالوه في الآخرة. وعندما يصف سبحانه عاقبة المجرمين فذلك من أجل ترهيب الناس وتحذيرهم من عاقبة الإجرام الموبق للإنسان. ومصيرهم في الآخرة بعد أن جمعنا الآيات رأينا أن نرتبها ترتيبا زمنيا بحسب ما استنتجنا على النحو التالي من وقت النفخ في الصور إلى أن يقذفوا في النار ويخلّدوا فيها.

يوم القيامة وعند الحساب يصف الله تعالى لحظة توزيع صحف العباد عليهم ليطلعوا على أعمالهم المسجلة فيقول سبحانه: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ ﴾ [سورة الكهف: ٤٩] فتراهم خائفين وجلين مما كتب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها[١]. وتتوالى حسراتهم بعد هذا إذ أن الصحائف الموزّعة إذا نوقشت قد يطمع صاحبها في النجاة أو التخفيف من العذاب ولو قليلا، لكن المجرمين من شدة هوانهم على الله تعالى لا يحاسبهم على مافي صحائفهم إنما يأمر بهم إلى النار فيدخلوها بلا مناقشة

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٥ / ٢٨٣.

قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال[1]، وشاهده قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [سورة القصص: ٧٨]. فيتمكن منهم الذل والهوان حينها وهو مصداق قول الله تعالى: ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤] والصغار: منتهى الذلة وهو وعيد شديد من الله تعالى لهم[2]. ومن ذلتهم انقطاع حجتهم لأنهم ماقدّموا لهذا اليوم إلا الذنوب والمعاصي لقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [سورة الروم: ١٢– ١٣] قال الزجاج رحمه الله: "المبلس الساكت المنقطع في حجته اليائس من أن يهتدي إليها"[3]. وعليه فإن السُّبل قد تقطّعت بهم فلا حجة لديهم ولا شفعاء لهم فيستنقذوهم من الذل الذي هم فيه.

ولما رأوا العذاب لم يعلموا لأنفسهم مهربا، وأيقنوا أنهم واقعون فيه لقول الله تعالى: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [سورة الكهف: ٥٣] فتنتكس رؤوسهم وتتطأطأ عند الله تعالى حياء منه للذي سلف. ولأنهم أيقنوا بالحساب وأن جهنم التي كذبوا بها حق ولن يسلموا منها إلا أن يشملهم الله برحمته فيطمعوا بها ويطلبوه الرجوع للدنيا ليحسنوا فيها العمل والشاهد قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة: ١٢] "لكهنم استعتبوا في غير حين استعتاب، وسألوا الرجوع إلى الدنيا حين لا يقبل منهم، وبادروا إلى التوبة حين لا تنفعهم"[4]. ومالهم إلا أن تأخذهم ملائكة العذاب للنار. عندما

---

[1] يُنظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ١٥ / ٢٩٣.

[2] يثنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣ / ٣٣٤.

[3] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٤ / ١٧٩.

[4] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، الشارقة- الإمارات، ط ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ١٠ / ٦١٠.

تريدهم الملائكة تعرفهم بشكل مباشر لأمارات فيهم وشاهده قول الله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١] والأمارات تظهر عليهم عند حشرهم وهي عبارة عن سواد الوجه وزرقة الأعين وبهذه الأمارات قال مجاهد والحسن رحمهم الله في تفسير ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢][1]. بعدما تعرفهم الملائكة تأخذهم بنواصيهم وأقدامهم تسوقهم إلى جهنم عطاشا حفاة مشاة أفواجا[2] وهو ماقاله الله تعالى على لسان ملائكة العذاب: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦]. وتيقنوا من إقحامهم في النار، حينها يتمنى كل واحد منهم أن يستطيع إنقاذ نفسه من الذل المتكالب عليها والعذاب المُسعّر أمامها فيفتديها بما يستطيع والشاهد قول الله تعالى: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ [المعارج: ١١] فيعرض بنيه وزوجته وأخيه وعشيرته أي: الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب يفتدي بهما من شدة ما يجد[3]. ولا يذكر أنه يفتدي نفسه بأبويه لأن ذلك سيزيد غضب الله تعالى عليه فهو مأمور بالإحسان إليهما وليس من الإحسان أن يفتدي بهما. وعلى كل لا جدوى من الإفتداء ولا نفع من الشفاعة فيقضي الله أمرا كان مفعولا.

تسحبهم الملائكة على وجوههم في النار ليذوقوا وبال أمرهم وصف الله تعالى هذا المشهد فقال: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٧– ٤٨] ولأنهم في حِيدة عن الحق استحقوا النار تسعّر عليهم[4] ويخلدون في عذابها فهم ليسوا ممن يعذب ثم ينفك عنه العذاب ويَخرجه إنما عذابهم دائم وانقطاعه مستحيل والشاهد قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠] فلا يخرجون من العذاب ولا يدخلون الجنة أبدًا كما لا يلج

[1] يُنظر: اللباب في علوم الكتاب، النعماني، ١٨ / ٣٣٨.
[2] يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١ / ١٥٣.
[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٣ / ٦٠٦.
[4] يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) المحقق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، ط ٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ٧ / ٤٣٤.

الجمل في سمِّ الخياط أبدًا وذلك ثقب الإبرة[1]. إذا هم فيها خالدون، لا خروج منها ولا انقطاع أو تخفيف لعذابها ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٥]، فيتمنوا الموت وينادوا خازن النار عليه السلام يتوسلوا به إلى الله تعالى ويقولوا مانقله الله على لسانهم: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧] فيجيبهم عليه السلام بإنكم ماكثون أي: مقيمون في العذاب، قيل: سكت عن إجابتهم ثمانين سنة، ثم أجابهم بهذا الجواب، وقيل: سكت عنهم ألف عام، وقيل مائة سنة، وقيل أربعين سنة[2]. كل هذه السنين وهم في العذاب ينتظرون الجواب وعندما يأتيهم يكون ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾.

كانت هذه عاقبة المجرمين التي استحقّوها فأعدّها الله تعالى لهم، وخلاصتها أنْ يجتمع عليهم الذل والهوان والخزي والندامة، ويلقون في نار تلظى، نزاعة للشوى، لا تبقي ولا تذر، لا يذقون فيها إلا حميما وغساقا، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك يجزي الله كل مجرم كفور.

الخاتمة:

وفي الختام أحمد الله سبحانه الذي بنعمته تتم الصالحات، حمدًا كثيرًا على ما مدّني به من عون وقوّة لأتمّ بهما هذا البحث، الذي مضت أوقات إنجازه في التّنقل بين تفاسير القرآن الكريم قراءةً وتدبرًا واستنباطا. وخرجت من إعداده بنتائج توصّلت إليها وتوصيّات بيانهم على النحو الآتي:

- **أبرز النتائج المتوصل إليها:**

✓ الإجرام لا يقتصر على ما تعارفه الناس من أنه ارتكاب الجريمة الجنائية، ففي النص القرآني يأتي بمعنى آخر وهو الكفر والمراد بالمجرم في القرآن الكريم هو الكافر المخلد في النار، مبشر بها في الدنيا قبل الآخرة.

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٢ / ٤٢٧.
[2] فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق- سوريا، ط ١، ١٤١٤هـ، ٤ / ٦٤٧.

- ✓ في القرآن الكريم ٤٩ آية تناول مشتقات لمادة (أجرم)، ذكر فيها سوء عاقبة المجرمين وهي الخلود في النار، وأن كان المخاطبون على قيد الحياة، وبيان أعمالهم لاستبانة سبيلهم واجتنابها.
- ✓ لم تذكر التوبة مقترنة بهذا اللفظ، وكفى بذلك دلالة على دلالته.
- ✓ وضَع القرآن الكريم أساليب تربوية للوقاية من الإجرام وأخرى لعلاج الواقع فيه.
- ✓ بين القرآن الكريم جليا مصير المجرمين في الآخرة بحيث يؤخذون ويرمون في النار بدون الحساب، وقد ختم عليهم بالسوء في الدنيا عبرة لمن يأتي من بعدهم والآيات تركز على التفكر والتذكر من المخاطبين بما آل إليه المجرمون قبلهم ليتعظوا ويعتبروا منهم.

▪ **التوصيات:**

- ✓ الاهتمام بالتفسير الموضوعي في مجال الأبحاث العلمية.
- ✓ القيام بمجهود إسلامي على مستوى المؤسسات والهيئات لبيان خطورة هذة اللفظة وتجنبها.
- ✓ الدراسة الموسعة عن المجرمين في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- ✓ إعادة النظر في تفسير لفظ الإجرام في كتب علماء السابقين ومن يتصدر الكتابة في أيامنا هذه للانتباه إلى عظم دلالة هذه الكلمة – المجرم يساوي المخلد في النار وإن كان لا يزال يأكل ويشرب في هذه الدنيا.

والحمد لله ولي التوفيق حين البدء وعند الختام، وصلاة ربنا وسلامه على المزكّى عن كل وصف ذميم وسفاهة، وعلى آله وصحبه أولي العزم والنّباهة ومن تبعهم بإحسان من الثقالين إلى يوم الدين.

...

قائمة المصادر والمراجع:

١. **القرآن الكريم**.
٢. **الأحكام السلطانية**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، دار الحديث، القاهرة- مصر.
٣. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.
٤. **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ص: ١٦٢.
٥. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.
٦. **التفسير البسيط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ) تحقيق: لجنة علمية من عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية، ط ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٧. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت:١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٩. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٠. **الجامع الكبير- سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار بن عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١١. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ط ٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
١٢. **درج الدُّرر في تفسير الآيِ والسور**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمان- الأردن، ط ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
١٣. **زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه**، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، إصدار مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٤. **شبهات حول السنة**، عبد الرزاق عفيفي (ت: ١٤١٥هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٥هـ.
١٥. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت: ٢٦٥) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٦. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
١٧. **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، رسالة دكتوراه، بإشراف: أ.محمد قطب، ١٤٠٥هـ، دار الكلمة، ط ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٨. **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق- سوريا، ط ١، ١٤١٤هـ.
١٩. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٠. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢١. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
٢٢. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) المحقق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، ط ٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٢٣. **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٢٤. **مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٢٥. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م.
٢٦. **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٢٧. **موسوعة جرائم النساء العالمية والعربية**، محمد الهاشمي، دار أسامة للنشر، عمان- الأردن، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٨. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٢٩. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر مجموعة

بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.